

مناطق سهل الشلف في ظل الاحتلال الروماني
في الفترة الممتدة من ق.م إلى ق.م 3 م.

محمد أ. فوكة محمد*

1- أسباب تأخر الاحتلال الروماني لبلاد المغرب القديم: قبل الحديث عن سهل الشلف والونشريس في ظل الاحتلال الروماني في الفترة الممتدة من القرن الأول قبل الميلاد إلى القرن الثالث ميلادي، يجب الإشارة إلى أن بلاد المغرب القديم بقيت مدة قرن من الزمن - من 146 ق.م. تاريخ سقوط قرطاجة إلى 46 ق.م. تاريخ معركة تابسوس (انتصر فيها الرومان على يوبا الأول والتي من أهم نتائجها بداية الوجود الفعلي الروماني في بلاد المغرب القديم) - خارج السيطرة الرومانية الفعلية، وهذا راجع لجموعة من الأسباب، حيث يرى بعض المؤرخين الغربيين أن سبب تأخر غزو بلاد المغرب من طرف الرومان يتمثل في عدم وجود أطماع في المنطقة وهذه معلومة خاطئة، فالاهتمام الروماني بمنطقة المغرب يرجع إلى اندلاع الصراع مع الإمبراطورية القرطاجية سنة 264 ق.م⁽¹⁾، عندما وقفت هذه الأخيرة سدا منيعا في وجه توسعات الرومان في حوض البحر المتوسط.

إضافة إلى هذا كيف يمكن تفسير محاولات الإدارة الرومانية التدخل في الشؤون الداخلية للممالك الوطنية في بلاد المغرب واتباع سياسة فرق تسد وشراء ذمم بعض ملوك الممالك الوطنية إذا لم تكن لها أطماع في هذه الفترة.

زد على ذلك إبرام الصفقات التجارية بينها وبين قرطاجة، وبينها وبين ملوك النوميدي⁽²⁾، إضافة إلى التنظيم الكبير الذي وصلت إليه الممالك الوطنية في هذه الفترة بالذات في المجال الإداري والعسكري ما مكنها من فرض نفسها كرقم صعب على الواقع، وهذه القوة جاءت نتيجة الاحتكاك بالإدارة القرطاجية نتج عنه اتباع نظام إداري محكم مكن الممالك الوطنية من التطور في كل المجالات، ولعلّ ما قام به ماسينييسا عندما وحدّ كل بلاد المغرب خير دليل، أما عسكريا فقد أصبح لهذه الممالك جيوش نظامية على أعلى درجة من التدريب وذات خبرة

* - أستاذ مساعد - شعبة علم الآثار - كلية العلوم الانسانية والاجتماعية - جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف.

عسكرية اكتسبتها من خلال مشاركة أبنائها في الحروب البونية التي تعتبر الممالك الوطنية أكبر المستفيدين منها.

وفي الأخير نجد السياسة الرومانية الخارجية القائمة على التريث في فتح جبهات جديدة خاصة إذا كان العدو قويا.

2- أسباب أو مبررات الوجود الروماني في سهل الشلف: يمكن حصرها في نقطتين رئيسيتين هما عسكرية واقتصادية.

أ- العسكرية: تتمثل في:

- حماية حدود عاصمة مقاطعة موريطانية القيصرية، والحفاظ على مصالح الإدارة الرومانية وكيونتها الاستعمارية.

- مواجهة القبائل المحلية التي كانت تمثل تهديدا حقيقيا للوجود الروماني في المنطقة بسبب رفضها للاستعمار الروماني.

- حماية الممتلكات المتمثلة في الأراضي التي اغتصبتها الإدارة الرومانية من سكان البلاد لتوطين العناصر الرومانية واللاتينية المتدفقة على المنطقة.

ب- الاقتصادية: تتمثل في الأراضي الزراعية فكما هو معروف فإن سهل الشلف يعد واحدا من أخصب الأراضي في شمال إفريقيا على مر العصور كما أن منتجاته من أجود المنتجات، هذا ما شجع الرومان على احتلاله واستغلاله من خلال خلق ملكيات جديدة لتصريف فائض السكان في روما وتوفير الموارد الغذائية للجيش الروماني في شمال إفريقيا، وتوفير القمح للعاصمة روما التي كانت تعاني نقصا فادحا في هذه المادة، وعرف سهل الشلف في هذه الفترة بحزان روما من الحبوب. والاستفادة من المجاري المائية سواء في التحصين أو النشاط الفلاحي.

3- مراحل الوجود الروماني في منطقة سهل الشلف: يرتبط الوجود الروماني في المنطقة

بالسياسة العسكرية المطبقة أو ما يعرف بمنظومة خط الليمس الذي يمثل الحدود الجنوبية للإمبراطورية الرومانية في شمال إفريقيا، وهو الخط الفاصل بين أراضي الاحتلال الروماني في شمال أفريقيا وأراضي الشعوب المعادية لها في الجنوب، وقد شيد هذا الخط على مراحل بين القرنين الأول والثالث، وكان اتجاهه في البداية شرق - غرب ثم شمال - جنوب، بعد أن تم للرومان السيطرة الكاملة على أراضي أفريقيا الشمالية، ويتكون الليمس من ثلاثة عناصر

أساسية أضيفت إلى بعضها تدريجياً، وهو الخندق **Fossatum** الذي تتخلله أبراج وحصون ومراكز مراقبة، وثانياً أبراج وقلاع محصنة منعزلة، وأخيراً شبكة من الطرقات الإستراتيجية⁽³⁾ تعمل على تسهيل حركة الفيالق العسكرية لإحكام السيطرة على المنطقة، واعتمد الرومان في اختيار أماكن وضع استحكاماتهم على التضاريس والجاري المائية، وهذه الحدود عبارة عن منطقة عازلة لا يقل عرضها في بعض الأماكن عن ستين (60 كم)⁽⁴⁾، ويضم سلسلة من الاستحكامات العسكرية.

ومر هذا الخط بمرحلتين تاريخيتين هامتين أثرتا بشكل كبير في سهل الشلف فالمرحلة الأولى كانت في القرن الأول الميلادي لما أمر الإمبراطور تراجان بتطبيقه في إفريقيا للحد من خطر القبائل المحلية، ويمر في وسط سهل الشلف بداية من مدينة البرواقية شرقاً إلى المحمدية غرباً "Castra Nova" مسيراً لجرى وادي الشلف، ومن بين مظاهره ظهور العديد من المعسكرات في المنطقة منها الشلف **Castellum-Tangitanum**، **Mina** غليزان، **Zucchabar** مليانة، **Tigava castra** العطف، **Oppidum Noveum** عين الدفلى، **vagal** بوقادير. وكان الهدف الرئيسي منه تأمين حدود مقاطعة موريطانيا القيصرية الجنوبية.

المرحلة الثانية جاءت تماشياً مع سياسة الإدارة الرومانية المتمثلة في توطين المستوطنين القادمين إلى بلاد المغرب القديم بفعل تزايد قوتها في المنطقة مقابل تراجع قوة القبائل المورية، وتبدأ من القرن الثالث الميلادي عندما أمر الإمبراطور سبتيم سيفار بتوسيع الحدود جنوباً حتى جبال الونشريس في منطقة سهل الشلف التي أصبحت تعرف بجبال الليمس، وعليه انتقل الليمس من وسط سهل الشلف إلى ما وراء جبال الونشريس، وأصبح الخط يمتد من بوغار شرقاً ثم ثنية الأحد ثم تيارت ثم فرندة غرباً⁽⁵⁾. ومن بين نتائج هذا الانتقال تحول أغلب المعسكرات سالفة الذكر إلى تجمعات سكانية ثم إلى مدن كبرى على غرار كاستيلوم تنجيتانوم ومينا اللتان أصبحتا من أهم المدن في المنطقة.

ولعلّ الهدف الرئيسي من هذا التغير العسكري يتمثل في بسط السيطرة الكاملة على سهل الشلف ومطاردة القبائل المورية والنوميديّة وعزلها خارج السهل، ودفعها إلى مناطق سهل

السرسو، ومراقبة تحركاتها بفضل النقاط العسكرية ومراكز المراقبة منها كولناطة في منطقة الونشريس.

4- سبل أو طرق الاستعمار الروماني لسهل الشلف: اعتمد الاحتلال الروماني في غزوه لمنطقة الشلف على التوسع على حساب أراضي السكان المحليين وتوزيعها على المستوطنين الوافدين من شبه جزيرة إيطاليا، وتمثل طرق الاستعمار الروماني للمنطقة في طريقتين:
أ- عسكرية: تتمثل في استعمال القوة العسكرية للسيطرة على الأراضي والحفاظ على المكتسبات، وهذا ما تؤكد الشواهد الأثرية الرومانية في المنطقة حيث نجد أن ثلثي 2/3 البقايا عبارة عن تحصينات وبقايا عسكرية.

- استعانة الإدارة الرومانية في إفريقيا على **III Aug, Ituraerum Sagitt** (6) التي كانت تعتبر أقوى الفرق العسكرية المساعدة التي لجأت إليها الإدارة الرومانية لمواجهة المقاومات المحلية، وإحكام سيطرتها على المنطقة من جهة وبناء العديد من المدن الجديدة منها كارتينا تنس، وشق الطرق الرئيسية من جهة أخرى.

ب- سياسة الرومنة: كانت قائمة على أسس سلمية من خلال محاولة الإدارة الرومانية توطئ العنصر الروماني في المنطقة خاصة الجنود، فكما هو معروف عن الجيش الروماني أن الجندي يجنم لمدة تتراوح بين 15 و 25 سنة ثم يحال على التقاعد أين يجير بين العودة إلى وطنه الأم أو البقاء والاستفادة من مكافئتين مالية وعقارية، حيث يحصل على قطعة أرض قريبة من مقر الفرقة التي خدم بها كما تساعده على اقتناء عدد من رؤوس الماشية والأدوات الفلاحية اللازمة لخدمة الأرض وتزويده بالبذور أيضا (7) ومثال ذلك شروع الإمبراطور أغسطس في عام 27 ق.م في توطئ المحاربين والمواطنين الرومان الذين بلغ عددهم 3000 شخص في ستة مستعمرات أقامها في ولاية إفريقيا منها تنس، إضافة إلى الفرقة الأوغستية الثالثة، كما أقام تسعة مستعمرات في موريطانيا القيصرية ستة (6) منها ساحلية وهي جيغل وبجاية وآزفون برج البحري، سيدي براهيم، وتنس، وثلاثة (03) داخلية هي تكلات، حمام ريفا، مليانة، وتتميز هذه المستعمرات بأهميتها الإستراتيجية والمنجمية والزراعية. وكانت الإدارة الرومانية تسعى من خلال هذا الإجراء إلى تثبيت الجنود المسرحين بالقرب من معسكراتهم بغرض مساندة الوحدات العسكرية العاملة في حالة قيام ثورات ضد الرومان. ولتحقيق ذلك قام سبتيم سيفار

بالسماح للجنود العاملين بالزواج والاستقرار قرب المعسكر⁽⁸⁾ ما أدى إلى ظهور تجمعات سكانية رومانية بامتياز.

إضافة إلى هذا نجد سياسة الإغراء حيث كانت الإدارة الرومانية تمنح مجموعة من الامتيازات لسكان المنطقة مقابل تخليهم عن محاربتها والاعتراف بسلطتها عليهم وتمثل هذه الامتيازات في منح الجنسية الرومانية وحق المواطنة الرومانية للسكان ومعاملتهم كمواطنين رومان والسماح لهم بالإقامة في المستوطنات الرومانية والعمل في الفرق العسكرية الرومانية وغيرها من النشاطات.

5- موقف القبائل المحلية من الوجود الروماني: قبل الحديث عن موقف القبائل المحلية من الوجود الروماني لا بد من معرفة هذه القبائل فمنطقة سهل الشلف كانت من معاقل القبائل المورية وهذا ما يفسر إطلاق اسم موريطانيا على المقاطعة الرومانية في المنطقة وهو مصطلح إداري بالدرجة الأولى للدلالة على الأراضي التي كانت ملكا للقبائل المورية

إلى جانب المور نجد قبائل البقواط كما نجد أيضا قبائل البقواط **Baquates**⁽⁹⁾ التي هاجمت المستوطنات الرومانية بمقاطعة موريطانيا القيصرية ومنها مدينة تنس سنة 122م، وكان موطنها الأصلي يمتد من بلاد الشلف إلى جبال الأطلس الأوسط بالمغرب الأقصى، وكان مصير هذه القبائل الطرد من موطنها، وإجبارها على التزوح غربا نحو المقاطعة الطنجية. أما بالنسبة لموقف هذه القبائل من الوجود الروماني فكان الرفض والمقاومة، حيث كان سهل الشلف مسرحا للعديد من أعمال مقاومة الاحتلال الروماني والدليل على ذلك الاستحكامات العسكرية الرومانية المنتشرة في كل أنحاء السهل، إضافة إلى مشاركة القبائل المحلية في مختلف الثورات التي شهدتها كل من نوميديا وموريطانيا على السواء، نذكر منها:

1- ثورة تاكفاريناس: لقد انطلقت هذه المقاومة من قبيلة الموسلام **Musulmii** من منطقة الأوراس، وتوسعت فيما بعد لتصل منطقة الظهرة والونشريس⁽¹⁰⁾، بعد أن سخر الاحتلال الروماني كل القوانين والحيل لاستصدار أراضي الأهالي مثل عملية الكنترة **Centuriation** وضمها إلى ما يعرف "أمالك الشعب الروماني" **Ager Publicus**.

قاد هذه المقاومة رجل يسمى تاكفاريناس وهو من أبرز قواد نوميديا، جند مساعدا في الجيش الروماني في سن السادسة عشرة برتبة مساعد، واكتسب أثناء تجنيده في صفوف

الجيش الروماني تجربة كبيرة، لكنه سرعان ما فر من الجندية بعد أن رأى ظلم الرومان ضد الأمازيغيين، فعين من قبل أتباعه ومحبيه قائدا القبائل المزاملة سنة 17م، فشكل منها جيشا نظاميا من المشاة والفرسان على الطريقة الرومانية⁽¹¹⁾ معتمدا في ذلك على حرب الكمان، ألحق خسائر كبيرة بالرومان لفترة تفوق السبع سنوات، انضمت إليه العديد من القبائل وامتدت ثورته من السيرت الصغير إلى المحيط الأطلسي⁽¹²⁾.

أي أن هذه الثورة كانت شاملة متخذة البعد الوطني الأمازيغي أكثر من البعد القبلي وكانت خطة تاكفاريناس تقوم على الأسس التالية⁽¹³⁾:

1/ تقسيم جيشه إلى فرق صغيرة وتوزيعها على عدة نقاط.

2/ الاختفاء أمام الرومان عند هجومهم.

3/ الظهور عند انسحابهم.

4/ خوض حرب الكمان واستنزاف قوة العدو.

لقد كان تاكفاريناس يستخدم أساليب قتالية لم يألفها الرومان، كان يستخدم تقنية المناورة بالجوء إلى الانسحاب والمباغلة والهجوم المفاجئ وحرب العصابات المنظمة وضرب الجيش الروماني في قواعده المحصنة⁽¹⁴⁾.

والمتبع لتاريخ حرب تاكفاريناس لا بد أن يعتمد على كتابات المؤرخ اللاتيني تاكيتوس (تاسيت Tacite) الذي كان قريبا من تلك الأحداث، ولكنه لم يكن موضوعيا في حولياته التاريخية حيث كان ينحاز إلى الإمبراطورية الرومانية، ويهاجم تاكفاريناس الذي يعتبره ثائرا إرهابيا جسعا يسعى لتحقيق مآربه وأطماعه الشخصية على حساب الآخرين، وكان يرى هذا المؤرخ إن روما لم تأق لإفريقيا إلا لتزرع الخير وتطور الأمازيغيين وتنقذ الجائعين، وتحضر البدويين والرحل وتنشر السلام⁽¹⁵⁾ غير أن التاريخ يكذب مزاعم تاكيتوس فالإمبراطورية الرومانية بجيوشها الجرارة اغتصبت الأراضي، جوعت السكان وطردتهم نحو الجبال، ونهبت الثروات واستعبدت العباد واحتلت البلاد.

يقول تاكيتوس في حق تاكفاريناس: "اندلعت الحرب في أفريقيا في سنة 17، وكان على رأس الثوار قائد نوميدي يسمى تاكفاريناس، كان قد انتظم بصفة مساعد في الجيوش الرومانية، ثم فر منها وفي أول مرة جمع حوله بعض العصابات من قطاع الطرق

والمشردين وقادهم إلى النهب، ثم جعل منهم مشاة ففرسانا نظاميين وسرعان ما تحول من رأس عصابة لصوص إلى قائد حربي للمزاملة وكانوا قوما شجعانا يجوبون الفلوات المتاخمة لأفريقيا.

وحمل المزاملة السلاح وجروا جيرانهم الموريين معهم الذين كان يقودهم مازيبا، اقتسم القائدان الجيش، فاستبق تاكفاريناس خيرة الجنود، أي جميع من كانوا مسلحين على غرار الرومان، ليدرهم على النظام ويعودهم على الامتثال، أما مازيبا فكان عليه أن يحمل السيف ويشعل النار وينشر الذعر بواسطة حرب العصابات⁽¹⁶⁾.

يحاول تاكيتوس توجيه الطعنات إلى تاكفاريناس عندما يضعه على رأس العصابة وقطاع الطرق، عوض القائد المغوار الذي استطاع أن يوحد الجيش المغاربي بشقيه النوميدي والموري بل نستنتج من كلامه أنه مدح تاكفاريناس وقومه عندما قال بأنه قائد حربي، وقائد معلم يعلم الجنود النظام والامتثال، ثم قال المزاملة قوم شجعان يجوبون الفلوات المتاخمة لأفريقيا ونحن نقول لتاكيتوس إن الشجعان هم الذين اختاروا أشجعهم ليكون قائدا لهم.

ويقول عكاشة صاحب تاكفاريناس عن المحاربين (أيما ذهبوا يتلقاهم الشعب كمحاربين ويفتح لهم الفلاحون أبواب منازلهم، وتناولهم نساؤهم الطعام من أطيب ما يوجد عندهم)⁽¹⁷⁾. وأمام الانتصارات المتتالية لتاكفاريناس قرر أباطرة روما تعبئة كل إمكانياتهم للتصدي لهذا القائد النوميدي، فتابع وصول القادة العسكريين للمغرب الواحد بعد الآخر⁽¹⁸⁾.

1/ حملة البروقفصل فوربوس كامليوس سنة 17م Furues Camilus.

2/ حملة أبريونوس Apronius سنة 20م، الذي استعان بالفرق الأجنبية⁽¹⁹⁾.

3/ حملة يونيوس-بليسوس Junnues Blaesus سنة 20م.

4/ حملة دولابيللا Cornelius Delabella 23م-24م.

اعتمد تاكفاريناس في حربه على نوعين من القوات العسكرية، قوة عسكرية منظمة على الطريقة الرومانية المكونة من المشاة والفرسان وقوة غير منظمة معتمدة على حرب العصابات المتميزة بالكر والفر وحرقت المحاصيل الزراعية أثناء موسم الحصاد، "فهذه الحرب أضرت بالمصالح الاقتصادية لروما، فكانت جميع المعارك تقع في أواخر الربيع وفصل الصيف، ومن أسباب ذلك إغارة تاكفاريناس على المدن وقت الانتهاء من حصاد الحبوب

للسيطرة على المحصول من جهة وللحيلولة دون بيعه لروما من جهة أخرى، كما كان تاكفاريناس يشتري الحبوب من التجار الرومانيين للحيلولة دون وصوله للعاصمة الإمبراطورية⁽²⁰⁾.

لقد استطاع القائد النوميدي إلحاق عدة ضربات موجعة بالجيش الروماني فالجمع بين الأسلوبين النظامي وحرب العصابات كان وراء نجاح هذا القائد في حربه مستفيدا من عامل المباغته وتحديد المكان والزمان الذي يريده.

وقد هاجم حصون الجيش الروماني وقلاعه وطالب الرومان بمنحه أراضي خصبة لزراعتها والرعي فيها، وقفت الحكومة الرومانية عاجزة رغم الحملات العسكرية المتتالية التي أرسلتها، خلال سبعة سنوات كاملة أي من 17م حتى 24م، فاهتدت إلى سياسة فرق تسود باستمالة بعض أتباعه ووعدهم بالعمو ومنحهم أراضي يزرعونها، وهكذا دب الشقاق وانتشرت الخيانة.

لقد تمكن البروقنصل دولابيللا بعد أن تحالف مع الملك بطليموس من محاصرة الثوار واندلاع معركة كبيرة سنة 24م بين الجيش الروماني وتكفاريناس بالقرب من AUZIA سور الغزلان قتل فيها القائد النوميدي تاكفاريناس⁽²¹⁾، وكانت هذه الهزيمة نتيجة للخيانة والغدر التي تذكرنا بالنهاية المأسوية لسلفه يوغرطة⁽²²⁾.

2- ثورة إيدمون Aedemon: يعد مقتل الملك بطليموس سنة 40م على يد الإمبراطور كاليغولا Caligula عمت الاضطرابات المملكة الموريتانية وتجمع الثائرون بقيادة إيدمون، بعد أن ضمت روما موريطانيا واستعدادا لهذه المواجهات أرسلت روما فرقتين بحريتين من إسبانيا، وهي الفرقة المقدونية الرابعة Macedonica IV والفرقة الجيمينية العاشرة Gemina X⁽²³⁾ نحو سواحل موريطانيا، ونزلت هذه القوات في طنجة وليكسوس في موريتانيا الغربية ويول (شرشال) وكارتناي (تنس) بموريطانيا الشرقية، وتوجهت هذه الجيوش بعد الإنزال نحو الداخل في منطقة فوليكيس في موريتانيا الغربية وسهل الشلف في موريطانيا الشرقية⁽²⁴⁾.

لقد تمكن إيدمون من استنهاض كل القبائل المورية والنوميديّة، وشملت هذه الانتفاضة كل الأراضي الموريطانية وامتدت للأراضي النوميديّة.

وقدر بعض المؤرخين عدد الجيش الروماني الذي شارك في العمليات العسكرية بعشرين ألف جندي⁽²⁵⁾، وبعد أن امتنعت القبائل البربرية عن تقديم القمح والمؤن للجيش الروماني اضطر الإمبراطور كلوديوس أن يكلف الأسطول المتواجد ببريطانيا للقيام بمهمة تموين الجيش المرابط في موريطانيا⁽²⁶⁾.

تركزت العمليات العسكرية في سهل الشلف، وتمكن إيدمون من احتلال مدن السهل السفلي كل من **Gadaum-Castra** (جديوية) و **Mina** (غليزان) و **Ballenne praesidium** (بلل) بمساعدة القبائل المورية⁽²⁷⁾، وتوسعت هذه الثورة حتى وادي تافنة ومنطقة ويلي بالمغرب الأقصى.

استمرت هذه الثورة أكثر من عامين، وتمكن الرومان من القضاء عليها بعد أن تخلت عنه قبائل ويلي المغربية والتي أعلنت مدينتهم مدينة رومانية سنة 44م⁽²⁸⁾.

3- ثورة سيسغا 253 - 255م: لقد تم العثور على إحدى الكتابات في مدينة الشلف إبان الاحتلال الفرنسي، والتي تشير إلى ثورة سيسغا خلال حكم فالريانوس، وهذا نص الكتابة:

IMPP. CAES
P. LICINIO VALER
IANO PIO FEL, AV
G.P.M.TR.P II COS.
VRBE NOSTRA SISGA
DEVASTATA C.
P.L. GALLIENUS AVG.
P.M.TR.P.X COS, M.
COLONIAE IUS DED
IDEMO, DED.

تشير هذه الكتابة أن المدينة تعرضت للتخريب على يد الثائر سيسغا، في عهد الإمبراطور فالريانوس والذي ارتقت على عهده إلى مصاف المستوطنات⁽²⁹⁾.

في سنة 253م اندلعت مقاومة عنيفة في كل إفريقيا، التي أخبرنا عنها القديس كبريانوس من خلال رسائله التي بعثها، لجميع الكنائس آنذاك لجمع أموال القديسة لإطلاق صراح الرهائن المسيحيات لدى الثوار⁽³⁰⁾، كما سخرت روما إمكانيات عسكرية كبيرة للقضاء على هذه الثورة، وقد كلفت حاكم موريطانيا القيصرية بملاحقة الثوار وعززته بفرق عسكرية أجنبية، كما تم استدعاء الفرقة العسكرية برميجيا **Primigenia XXII** المرابطة في مدينة تنس منذ سنة 238م⁽³¹⁾

ورغم كل هذه التعزيزات فإن الثوار بقيادة سيسغا **Sisga** تمكنوا من محاصرة مدينة الشلف وتدميرها سنة 253م⁽³²⁾، وقد تمكن فالريان **Valerien** من الانتصار على الثوار. وفي سنة 255م ارتقت مدينة كاستيلوم - تانجيتانوم (الشلف) إلى مصافي المستوطنات⁽³³⁾، وقد حظيت بهذه الخطوة على يد الإمبراطور قاليانوس **Gallien**.

نستنتج من خلال ذلك أن روما رمت بكل ثقلها بعد أن امتد لهيب الثورة من موريطانيا إلى نوميديا، وأن العديد من القبائل شاركت فيها، كما أبرزت هذه الثورة رفض الأهالي للاستعمار الروماني، وفشل سياسة الرومنة التي بقيت سطحية ومنحصرة في فئة قليلة منهم.

4- ثورة فيرموس 372 - 375م: لقد اتسعت رقعة هذه الثورة لتمد من جبال البابور شرقا إلى الونشريس والظهرة غربا، ووجد الدوناتيون فيرموس قائدا يخلصهم من الرومان، فساندوه حتى عرفوا بالفيرمانتيين **Firmianus**، وقد أعلن رجال الكنيسة الدوناتية في موريتانيا القيصرية ولائهم لفيرموس⁽³⁴⁾ وسرعان ما انتشرت الثورة في المنطقة ابتداء من سنة 372م، فأرسل الإمبراطور فلانتيانوس حملة عسكرية إلى موريتانيا بقيادة الكونت تيودوز **Theodose** الذي نظم خمسة حملات عسكرية متتالية على مختلف مناطق موريتانيا، وكانت إحدى هذه الحملات على سهل الشلف حيث تنقل بين مدينة مليانة ومدينة تيغافا منسيبيوم **Tigava Municipium** "العامرة حاليا، وفي هذه المدينة الرومانية أقام مركز عسكريا هاما⁽³⁵⁾ وجمع حوله قوة كبيرة من الجيش النظامي والمرترقة والفرق المساعدة، ورغم ذلك استطاع فيرموس حرق مدينة شرشال وإيكوزيوم "الجزائر"⁽³⁶⁾ وبعد مطاردة تيودوز للثوار وإقدامه على الانتقام من الأهالي وأسر النساء وحرق الممتلكات وبيع الأسرى للمترقة، نقل فيرموس ثورته نحو الونشريس وزكار والبليدة، ملقنا الرومان درسا في التضحية، بعد أن فقد كل ممتلكاته وعائلته إلى أن قتل في إحدى المعارك سنة 375م⁽³⁷⁾.

لقد جاء في كتاب أميان مرسلان **Ammien Marcellin**⁽³⁸⁾ حول ثورة فيرموس ضد روما: «إن ثورة فيرموس انتشرت بشكل واسع في موريطانيا القيصرية ونوميديا، وتحولت إلى ثورة شاملة اتحدت فيها معظم القبائل المورية والنوميديية بقيادة "فيرموس" وتمكنت هذه الثورة من إلحاق خسائر معتبرة بالرومان في الأرواح والمحاصيل الزراعية،

اكتسحت المقاومة عدة مدن في سهل الشلف مثل مدينة مليانة وتيغافا، وتقدمت حتى حصن الشلف المنيع "كاستيلوم- تانجيتنوم"، لقد شارك في هذه الثورة عدة عناصر من الفرق المساعدة الرومانية كما يخبرنا الكاتب الروماني أميان مرسالان إن أخت فيرموس وتدعى سيريا "Cyria" وقفت إلى جانب أخيها، وإن عامل الأنوثة لم يمنعها من المشاركة في هذه الحرب».

لقد انتشر الخوف واللامن حتى داخل الأسوار الرومانية وحصونها وهذا ما أقلق حكام روما التي أوفدت على الفور قائدا عسكريا محنكا يسمى "الكونت تيودوز مجهزا بجيش جرار قوامه عشرون ألف جندي، نظم خمس حملات عسكرية متتالية الحملة الأولى: امتدت من جيغل مروراً ببجاية والجزائر وتيبازة ووصولاً إلى شرشال وتحريرها من الثوار.

الحملة الثانية: تركزت في حوض الشلف ومرتفعات الظهرة والونشريس التي اعتبرت قواعد خلفية لثوار فيرموس.

الحملة الثالثة: توجهت نحو المناطق الداخلية وركزت حول جبال "كابارنيسيس" **Monts Caparnenses**.

الحملة الرابعة: امتدت نحو سور الغزلان وسطيف والباور.

الحملة الخامسة: نحو منطقة سور الغزلان وضواحيها.

خاض القائد الروماني تيودوز، معارك ضارية ضد الثوار أكثر من سنتين أي 372 حتى 375م، شيد عدة حصون ومراكز عسكرية كمركز مليانة ومركز تيغافا (العطاف) وبسبب الخيانة وسياسة فرق تسود التي اعتادتها روما في مثل هذه الظروف انتحر فيرموس وبذلك تنتهي هذه الملحمة، وقبيل نهاية القرن اندلعت ملحمة أخرى على منوال فيرموس بقيادة أخيه جيلدون **Gildon**.

الهوامش:

1- المقصود بالصراع هنا اندلاع الحرب بين روما وقرطاجنة سنة 264 ق.م، والتي عرفت تاريخيا بالحروب البرنيقية وعددها ثلاثة هي: الحرب البرنيقية الأولى: 264 - 241 ق.م، الحرب البرنيقية الثانية: 218 - 201 ق.م، الحرب البرنيقية الثالثة: 149 ق.م - 146 ق.م.

2- العقون (محمد العربي): الاقتصاد والجمتمع في الشمال الأفريقي القديم، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2008، ص 49.

3- جوليان (شارل أندري): تاريخ أفريقيا الشمالية، ص 184.

- 4- (J) Baradez: *Fossatum Africae*, P 138، نقلا عن كتاب "الاحتلال الاستيطاني وسياسة الرومنة" شارن وآخرون، ص 7-5 - حاراش (محمد الهادي)، التاريخ المغربي القديم، السياسي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى الفتح الإسلامي، المؤسسة الجزائرية للطباعة والنشر الجزائر، 1992، ص 188.
- 6-(N) Benseddik: *Les troupes auxiliaires de l'armée romaine en Maurétanie césarienne, sous le haut empire*, SNED Alger, 1979, P 150.
- 7- حسين الشيخ: الرومان، دار المعرفة الجامعية القاهرة، 2004، ص 127-134.
- 8- حسين الشيخ، المرجع السابق، ص 130.
- 9- شنتي (محمد البشير): الجزائر في ظل الاحتلال الروماني، بحث في منظومة التحكم العسكري (اللييس الموريطاني) ومقاومة المورج، ديوان المطبوعات الجامعية، ص 68.
- 10- غانم (محمد الصغير) ومحمد العربي عقون، محمد صالح بوغناقة: المقاومة والتاريخ العسكري المغربي القديم، منشورات المركز الوطني للدراسات التاريخية والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، الجزائر، 2007، ص 367.
- 11- فيداي إبراهيم: مقاومة تاكفاريناس الأمازيغي من خلال كتاب تاكيتوس الروماني، المقاومة المغربية عبر التاريخ أو مغرب المقاومات، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، الطبعة الأولى، 2002، ص 48.
- 12- غانم وآخرون: المرجع السابق، ص 369. ----- 13- نفسه، ص 371.
- 14- محمد بوكوط: الممالك الأمازيغية في مواجهة التصديتات، منشورات مركز طارق بن زياد، الرباط، الطبعة الأولى، 2002، ص 60. -----
- 15- فداي (إبراهيم): المرجع السابق، ص 48-49.
- 16- حوليات تاكيتوس: ج 2، ص 56، نقلا عن شارل أندري جوليان، تاريخ أفريقيا الشمالية، ص 178.
- 17- بن أشهوه عبد الحميد: كتاب يوبا العالم يوبا الثاني وزوجه كليوباترا سيليني، المطبعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 49. -----
- 18- غانم وآخرون، المرجع السابق، ص 371-378.
- 19- فداي إبراهيم، المرجع السابق، ص 59. ----- 20- نفسه.
- 21- غانم وآخرون، المرجع السابق، ص 378. ----- 22- يوغرطة: قاد ثورة ضد الرومان بين 111 ق م - 105 ق م.
- 23- غانم وآخرون: المرجع السابق، ص 388. ----- 24- نفسه، ص 389.
- 25- شنتي (محمد البشير): أضواء على تاريخ الجزائر القديم، دار الحكمة - الجزائر، 2003، ص 99.
- 26- شنتي (محمد البشير)، المرجع السابق، ص 99.
- 27-(J) Rufer: *Étude sur les établissements Romaines du bas Cheliff*, BSGAO N° 27 de 1907, PP 311-366
- 28- شنتي (محمد البشير): أضواء على تاريخ الجزائر القديم، ص 100.
- 29- *Antiquité du cercle de Ténès*, in *Revue. AFricaine* N° 01, 1866, P 431.
- 30-(R) Cagnat: *l'Armée romaine d'Afrique, et l'occupation militaire de l'Afrique sous les empereurs*, Imp, National, E leroux, Paris 1913, P 60.
- 31-Ibid, P 61.
- 32-(X) Yacono: *La colonisation des plains du Cheliff*, (de Lavigerie au confluent de Mina tome1 Alger, 1955, P 187.
- 33- *Antiquité du cercle de Ténès*, in *Revue. A Fricaine* N° 01, 1866, P 431.
- 34- غانم وآخرون: المرجع السابق، ص 414.
- 35-(X) Yacono: *OP-CIT*, P 178.
- 36- جوليان (شارل أندري): المرجع السابق، ص 303. ----- 37- نفسه.
- 38- Ammien Marcellin: *Chapitre II Livre XXIX* in "Ils ont défié l'empire, Juba 1^{er}, Tacfarinas firmus et Gildon"18/ Himeur - Ensighaoui (O): *Ils ont defie l'empire, Juba 1^{er}, Tacfarinas firmus et Gildon*, Alger, 2009. PP 177 - 204.